كيفية سيادة الطبقة العاملة في االمجتمع. هل يمكن تصور المجتمع دون سيادة البورجوازية؟ ماذا يحل، اذاً، بالتطور الذي انجزته الرأسمالية؟ وهل يتخلى عنه الانسان بسهولة؟

طبعاً، الربط بين التطور وسيادة البورجوازية في المجتمع هو مغالطة كبرى، نابعة من ايحاء البورجوازية ذاتها، من ناحية، ومن المنظر البائس لشرائح المجتمع الفقيرة، من جهة اخرى.

ان الذين يقومون بتطوير المجتمع الرأسمالي ليسوا الرأسماليين، الذين قد يكونون اجهل الناس بالتطور، وبآفاقه، وانما العمال، من جهة، والعلماء والتكنولوجيون في كل مجالات المعرفة والنشاط الانسانيين، من جهة أخرى. وهؤلاء واولئك، إما ان يعملوا مأجورين عند حفنة من الرأسماليين، ويكون نشاطهم مكرساً لخدمة مصلحة الأخيرين الانانية، التي تتعارض، في أغلب المجالات، مع مصلحة المجتمع، أو ان يعملوا لمصلحة المجتمع، ويمثلوا بذلك سيادة الطبقة العاملة.

لكن كيف يُنظَّم عمل القوى البشرية، التي ذكرناها، لمصلحة المجتمع، من دون افتراض وجود الرأسمالي؟ هذا ما لم يكن يبدو ممكناً، خصوصاً بعد الضربات التي تعرضت لها الطبقة العاملة في اكثر من مكان.

حتى اليوم، ورغم تجارب الاشتراكية العلمية، التي نجحت نجاحاً هائلاً، توحي البورجوازية العالمية وأدواتها، بمختلف الاشكال والاساليب، بأن سيادة الطبقة العاملة، بمعنى اقامة الاشتراكية العلمية في المجتمع، هي غير ممكنة، والعمل في اتجاه ذلك يعود بـ «الأضرار» الواسعة الاجتماعية ـ الاقتصادية على المجتمع.

□ واذا كان يبدو في نهاية القرن التاسع عشر، لدى الديمقراطيات الاشتراكية، ان انجاز الثورة البروليتارية هو امر صعب، او غير ممكن، فما عسى الممكن ان يكون؟

هنا تعددت الاجتهادات وسارت في المناحي التي نعرفها، او نعرف شيئاً عنها. وكان الذين يقومون بالاجتهاد، عملياً، هم الانتلجنسيا، عوضاً عن البروليتاريا.

المنحيان الاساسيان اللذان سارت فيهما الاجتهادات، غير المنحى الثوري طبعاً، في نهاية القرن التاسع عشر، هما: منحى المصالحة الطبقية، ومنحى تجنيد العمال في المسألة القومية.

المنحيان يأخذان، على أرض النظرية والواقع، أشكالاً مختلفة، ويعنيان، في الجوهر، الحاق الطبقة العاملة بقيادة البورجوازية.

المصالحة الطبقية (او السلام الطبقي)، لا تعني هنا، مطلقاً، ان ثمة فئتين تتصارعان، ووصلتا، او يجب ان تصلا، الى حل وسط.

الصراع الطبقي هو صراع تاريخي، وليس صراعاً آنياً، وسيبقى، شاء المرء أم أبى، ما دام هناك في المجتمع مستغِلون ومستغَلون. ومثلما بقي الصراع يأخذ مختلف الاشكال في مجتمعات العبودية والاقطاعية، حتى زال وجود العبيد والاقنان والاقطاعيين (بالمعنى القديم) في المجتمع الرأسمالي، فانه سيبقى حتى يزول استغلال العمل البشري من قبل الرأسمالي، أي حتى تزول صفة الرأسمالي كرأسمالي، في المجتمع اللاطبقي.

العمال والرأسماليون هم في الحالة الطبيعية متعاونون، وفي حالة «سلام». الأولون ينتجون للآخرين، والآخرون يحصلون على ارباحهم، التي يريدونها. الرأسمالي لا يستأجر